Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (2) March (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

صورة الإله وتمثلاته في الشعر العراقي المعاصر دراسة ثقافية

م. م أحمد جميل عبد الصفراني
الكلية التربوية المفتوحة / مركز المثنى

The Image of God and Its Representations in Contemporary Iraqi Poetry: A Cultural Study

M. M. Ahmad Jamil Abdul-Safarani
Open Educational College / Al-Muthanna Center
@gmail.com ١٣٦ ahmadahmadq

المستخلص

تحاول هذه الدراس البحث عن صورة الإله في منطقة الشعر العراقي تاركةً هالات القداسة التي صنعها الإرث الثقافي والديني في العقول البشرية, ففكر مفهوم الإله من أعظم الأفكار التي كانت وما تزال ترافق الفكر البشري لاختلاف منابع الفكر وتباين الأنفس البشرية في تعاملها مع ما تراه دينيًا أو ما له ارتباط بقوى روحية من شأنها توفير الملاذ الآمن للمعتقدات التي يؤمن بها الإنسان بوصف الإله من المفاهيم التي تحمل بين طياتها دوالاً كثيرة لتنوع الحقول المعرفية التي فسرته حاملة في جعبتها إجابات للأسئلة الميتافيزيقية, ففي الجانب النظري حاولنا رصد الارهاصات الفلسفية والمعرفية لمفهوم الإله, في حين تكفل الجانب التطبيقي لهذه الدراسة في تبيان صور الإله في الشعرية العراقية

Abstract

This study attempts to explore the image of God in Iraqi poetry, leaving aside the halos of sanctity constructed by cultural and religious heritage in human minds. The concept of God is one of the greatest ideas that has accompanied human thought, and still does, due to the diversity of intellectual sources and the variation in human souls in their dealings with what they perceive as religious or related to spiritual forces, which provide a safe haven for the beliefs held by humans. God, as a concept, carries within it many signifiers due to the diversity of the fields of knowledge that have interpreted it, offering answers to metaphysical questions. In the theoretical aspect, we attempted to track the philosophical and cognitive preconditions of the concept of God, while the practical aspect of this study focused on demonstrating the representations of God in Iraqi poetry.

الإطار النظري

تصورات مفهوم الإلهإن البحث عن التصورات البدائية لمفهوم الإله يفتح لنا آفاق الفهم وتجليات التأسيس منذ الفلسفة وحتى آخر المناطق المعرفية فقد تعددت أنماط المعبود بحسب مسارات العقل والعادات والشهوة فهل يعبد الإنسان اللذة أم الألم أم يعبد الجسد أم يعبد نفسه أم يعبد الله أم هو مزيج من هؤلاء كلهم يقضي مع كل رب ساعة من حياته ويركع في كل محراب ركعة[١] بوصف الإنسان كائنًا لا يمكنه العيش بلا كنف ديني وبلا مذهب عقدي وإن اعتقد بعدمية هذا الكنف فأعتقاده مذهب في حد ذاته ايضا[٢]يرى (جون ديوي) أن الهروب الأول من الخطر المحدق بالإنسان جراء العنف الذي تمارسه قوى الطبيعة كان باتجاه منطقتين هما : الفن والدين [٣]مرّ مفهوم الإله بتحولات كبيرة وخطيرة رافقت تحولات الفكر البشري على مر العصور فقد نظر الانثربولوجيون إلى مفهوم الإله بوصفه قوى روحية تروض الخوف الذي يشعر به الإنسان وتتحكم به عندما يعجز أمام وحشية الطبيعة ومظاهرها الطاغية " فكان يقوم بابتكار الآلهة والكائنات العليا كرموز توازي أو تعادل ما في الطبيعة من مادة"[٤] أي أن الإنسان حاول اللجوء إلى ديانة خاصة توفر له الهدوء والطمأنينة, فبدأت رحلة البحث عن الإله عند الإنسان في محطات كثيرة, فقد تحدث فراس السواح عن ثيولوجيا الإله إذ يشير إلى أن فكرة الإله عند الإنسان البدائي تجلت في عبادة الأسلاف التي تتمحور حول الفكرة القائلة بأن الآلهة في الأصل كانوا رجالاً بارزين في القبيلة, لهم مكانتهم الخاصة والمميزة, ثم عبدهم الناس لاعتقادهم بامتلاك القوى التي تؤثر في حياة

الأحياء, والعبادة بهذا الشكل تمثل مرحلة انتقالية بين زمن الخوف من الطبيعة والقوى اللامرئية وزمن الآلهة المجسدة في الأسلاف[٥] أي أن الآلهة كانت رموزًا وأساطيرًا وقد فسرها هربرت سبنسر في منهجه الانثروبولوجي على أنها نوع من عبادة الاسلاف التي نشأت نتيجة لما نسميه (سوء فهم) فأفراد القبائل البدائية الذين تسموا بأسماء مظاهر الطبيعة وأسماء الحيوانات اختلطت شخصياتهم مع أسمائهم وبذلك اكتسبت الطبيعة والحيوانات مظاهر إنسانية دارت حولها الأساطير فالشمس والقمر والأسد هي قصص الأشخاص الذين يحملون هذه الأسماء[٦]انها مرحلة أخرى تدور حول تقديس وتأليه رجالات بارزين في القبيلة لهم مكانتهم الاجتماعية وتأثيرهم على الناس حتى العبادة, وهنا افترض فريزر أن الإنسان مر بعهد ظن فيه أنه بمقدوره التحكم في سير عمليات الطبيعة بوساطة تعاويذه وطقوسه السحرية ولكنه بعد أن اكتشف قصوره في تحقيق ذلك اعتقد بأن القوى الطبيعة واقعة تحت سلطان شخصيات روحانية فائقة القدرة فتحول إلى عبادة هذه الشخصيات واسترضائها بالقرابين وبذلك تحول ظهور الدين وتحول الانسان عن السحر إلى كاهن المعبد[٧] , وبعد ذلك تلت هذه المرحلة التعدد في المفهوم الإلهي مع بداية العصور الزراعية, وكان من ضمن هذا التعدد مرحلة عبادة الحيوان (الطوطم), وفق الأسس الطوطمية لكل قبيلة انطلاقا من أصله الحيواني المقدس إذ كانت القبيلة على اختلافها تقدس حيوانًا بوصفه طوطمها المقدس[٨] وقد استمر هذا التعدد ردحاً من الزمن حتى جاءت الأديان التوحيدية, وحصلت انعطافة كبيرة ما تزال آثارها قائمة حتى الآن, ولعل أهم فكرة أشار السواح إليها في مسألة الأصل الإلهي هو الخيال الإنساني الذي رسم شيئا من التصورات الميثولوجية على فكرة الكائن الإلهي, ما أفضى إلى خلق حشدٍ من الآلهة التي تعمل بين فترة وأخرى على حجب المفهوم الأصيل والحقيقي للإله [٩] لأن الآلهة تتعدد بتعدد الرؤية الإنسانية لأصل الدين وطريقة التدين في المعتقد وهذا يتطابق تماما مع رؤية آرمسترونغ التي ترى أن خلق الالهة أمر يفعله البشر على الدوام فبعد إنتهاء مفعول كل فكرة دينية عندهم يتم استبدالها بفكرة أخرى جديدة بكل بساطة فتتوارى هذه الأفكار بكل هدوء وتحل محلها أخرى[١٠]وفي منطقة معرفية أخرى ترى إحدى النظريات التي وضعها العالم فيلهم شميدت في كتابه (أصل فكرة الله) أن وجود مفهوم التوحيد بدائية أي أن الإنسان كان موحدًا يعتقد بإله واحد فقط قادر على خلق العالم ويدبر شؤون البشر ولكن مما يدعو للغرابة غيابه عن حياتهم اليومية فلا يمكن هذا الاله إن يصنع دينيا خاصا به مما جعله يبتعد عن عالم البشر لدرجة أن أرواحًا أدنى مرتبة منه وآلهة أسهل منالًا قد حلت محله على سبيل الاستعاضة أي أن بداية الأمر كان إلهًا واحدا وبعد ذلك تعددت الآلهة[١١]إن فكرة الإله البعيد تتضمن قضية جوهرية تتمحور في حادثة الكائنات العظمى التي تنزع إلى التواري والاختفاء من حقل العبادة بعد إن كانت آلهة تكفلت بخلق الكون والحياة ولكن ما جعلها تجنح إلى هذا الانسحاب إلى السماء هو شعورها بالتعب لتخلف بعدها ابنها أو صانعًا مدبرًا يقوم بعملية اكمال الخلق وبعد ذلك تدرجت مسارات أشكال الآلهة لتظهر بأنماط تجلت في " الجدود الاسطوريون الالهات الامهات الهه الاخصاب"[١٢]**المنظور الفلسفي للإله** تحاول الفلسفة ارساء قواعد المعرفة والتدخل في رسم مساراتها وفاقا للأسس الفلسفية, فعلى الرغم من أن فلاسفة الأغريق ساهموا في بناء التوحيد الفلسفي إلا أن أفلاطون انماز بوضع هيكل تراتبي مقنع نشأت عنه حركات التوحيد اللاحقة كلها وهنا يمكننا القول أن أفلاطون مؤسس التوحيد الفلسفي الذي يعتمد على صفات الإله فهي تتجلى في كونه يتصف بالعظمة والوجود الدائم وهو أبٌ لجميع الآلهة وفريد وخالق وصانع أنه أشرف عله وهو أزلي وهو أبهى المعقولات وأكملها[١٣]**هيجل** لقد حاولت فلسفة هيجل الفصل بين الإنسان وتاريخه مما أحدث شقاقا بين الإنسان وواقعه حتى لقد قارب هيجل الإنسان من دون تناول العالم المحسوس وبهذا المنظور فهو لاهوتي في ثوب متفلسف حول الدين وظف الفلسفة لبناء اللاهوت وأعطى الأهمية لله كفكرة مطلقة في نسقه الديني وأعاد اللامتناهي والدين والأفكار المطلقة على حساب واقعية الإنسان على العكس تماما من فيورباخ الذي يرى أن الإلهي هو الإنسان معكوسا أو منعكسا في ما الماوراء وخصائص الإله هي خصائص الإنسان مثل الحكمة والعدالة والنوع الإنساني ومن دونها لا قيمة لما هو انثربولوجي في الإنسان[١٤], ويؤكد هيجل في مضمار بحثه الفلسفي أن الطبيعة البشرية لا تكاد تختلف عن الطبيعة الإلهية وإن فكرة الإنسان عن الله ليست إلا مرآة تعكس لنا فكرته عن نفسه [١٥] إن هذه العبارة جعلت الباحثين يعتقدون أن هيجل وفيورباخ يتفقان في تصورهما للإنسان بوصفه مركز الدين**فيورباخ** يذهب هيجل إلى التمييز بين نوعين من الدين :الدين الموضوعي وهو اللاهوت بوصفه نسقا من الحقائق والدين الذاتي وهو الجانب الحي لأنه يستحق أن يطلق عليه اسم الدين لتعلقه بالقلب ويتصل بالعواطف والمشاعر ويتحول إلى أفعال وأعمال وتعد هذه البداية التي انطلق منها فيورباخ في تفسيره للدين[١٦] إن الفرضية المركزية عند فيورباخ تقول أن الإله مجرد اسقاط للطبقة البشرية الكاملة فالإنسان هو سرّ اسقاطات الدين لكينونته الموضوعية ويجعل من ذاته من جديد عندئذ فرضًا لهذه الصورة المسقطة لذاته المحولة من ثم إلى ذات أخرى[١٧] , ويصل فيورباخ إلى نتيجة مفادها أن الآلهة كجزء من النوع البشري في الأفراد الواعين ذاتيا يصورون طبيعته البشرية على أنها مجردة من الحدودية ويضعون عليها اللقب (إله) وهكذا يسقطون الاله وينسبون إليه كل صفات البشرية الكاملة[١٨] ويرى فيرباخ في فلسفته الانثربولوجية أن الله هو انعكاس للإنسان والتساؤل حول جوهر الإنسان هو التساؤل حول جوهر الله وهوية الروح الإنسانية والوعي الإنساني مع الإلهية حسب

الهيجليين ليست إلا هوية الإنسان مع ذاته, ففكره الله هي تأويل للحياة وتصور عن الطبيعة واللاهوت هو تأليه للطبيعة, فالدين ليس إلا طريقة للإنسان للارتباط بذاته بوصف الله هو ماهية أو جوهر الإنسان مسقطا على الذات الإنسانية من الخارج[١٩]وهنا لا يمكن القول أن رؤية هيجيل تشابه رؤية فيورباخ لأن الأول ابتسمت نظريته للدين بأنها مثالية تستند إلى ميتافيزيقيا نظرية بينما الثاني ترتكز بنظريته على انثربولوجيا اجتماعية ومن هنا فإن هيجل لا يقدم انثربولوجية لاهوتية مثل فيورباخ لأنه يعتقد بأنه إذا كان الله يتجلى لذاته في تاريخ الإنسانية فإن الإنسان لا يؤثر في هذا التجلي وفي هذا الوعي لذا لا يمكن أن نعد نقد هيجل للدين مماثلا لنقد فيورباخ وإن اتفقا في أن الإنسان إذ يعتقد أنه يتكلم عن الله إنما يتكلم عن نفسه ولكنه لا يعد الدين انثربولوجيا كما يفعل فيرباخ بل ميتافيزيقيا لأن هيجل لم يغادر العهد القديم وفلسفته مبنية على اللاهوت[٢٠] ومن هذا المضمار يمكننا أن نتفق مع من يقول " لو لم يكن لمفهوم الله هذه المرونة لما بقيت لتغدو واحدة من الأفكار العظيمة" [٢١] في التاريخ البشري؛ لذا تعددت الأفكار التي تحاك في مضمار هذا المفهوم, فالبحث في تجليات الإله لن يكون تاريخيا بالمعنى المعتاد وذلك لأن فكرة الله لم تنشأ من نقطة واحدة ولم تتطور في مسار خطي لتصل مفهوما نهائيا فالمفاهيم العلمية تعمل على هذا النحو لكن أفكار الفن والدين ليست كذلك فتماما مثل ما هناك عدد محدود من الموضوعات في شعر الحب كذلك يستمر الناس في قول الأشياء ذاتها على الله مرة تلوى أخرى [٢٢]وهنا لا نريد البحث عن أصل فكرة الإله؛ لأنه من الموضوعات التي أُشبعت بالبحث في مناطق معرفية كثيرة, فلسفية وثقافية ودينية وغيرها , ولكن نود تبيان أن فكرة الإله لم تحظ باستقرار وتقعيد معرفي في المنطقة الإبداعية؛ ولذا حاولنا تتبع مفهوم الإله في الشعرية العراقية في الجانب الاجرائي من هذه الدراسة .إن مفهوم الإله لم يرتبط بالمتدينين فقط بل كان وما زال موضوعا يتسامى مع العلوم المعرفية والفلسفية والانثربولوجية وتختلف هذه العلوم في رؤيتها لمفهوم الإله بوصف أن العلوم تتباين في أصلها الفيزيقي والميتافيزيقي وأن البحث في علاقات هذه العلوم بمفهوم الإله يؤدي بنا إلى تشعبات كثيرة قد تنأى بنا عن موضوع بحثنا الذي نحن بصدده, ولعل الشعر أحد الانجازات البشرية التي تناولت مفهوم الإله بمسار إبداعي وفق انساق مضمرة أو ظاهرة

المبحث الثاني / صورة الإله في الشعر العراقي المعاصر

إن تجلي صورة الإله في التجربة الشعرية العراقية لم يكن ذا نمط واحد أو مسار تراتبي بل انماز بالتباين والتعدد الصوري لهذا المفهوم انطلاقاً من الرؤية الفكرية لكل شاعر وتحاول هذه الرؤية تعرية الواقعة المتخم باللاحقيقة الدينية ونقدها من وجهة نظر فنية تبين لنا زيف التدين المتعالي على الإله الحقيقي على وفق مقاسات فكرية وايديولوجيات ضيقة تبتعد عن الأنسنة في سبيل مصالح الذات ولاغرو في أن معاول الشعر لم تعجز عن تهديم جدار زنازين التغييب الذي فرضته قوى رجال الدين المزيفين ضد الإله الحقيقي والدين الحق يختلف الشعر عن بقية العلوم في طريقة تناوله للمفاهيم الكبيرة, بوصفه فنًا يعتمدُ على الإيجاز والتكثيف والإيحاء واللامباشرة, مما يفتح آفاق التأويل لدى المتلقي, وتكون هناك فضاءات كبيرة تستوعب الموضوعات التي تشكل بعدًا مقدسًا وحضورًا ثقافيًا وروحيًا لدى الناس, إن حضور الإله في الشعر لم يكن وليد اللحظة, بل شغل مفهوم الإله مساحة كبيرة في تاريخ الشعر العربي الذي تميز باستدعاء المفاهيم المقدسة والعليا, بدءاً من محاولة الإنسان لتفسير الوجود, إذ انتدب لذلك اشخاص يقومون بالنيابة عن المجتمع لاستيعاب الحياة بوسائل عدّة, كان من أهمها الدين والفن والسحر, فخرجت لنا مسميات ترتبط بالدور الذي يؤديه الشخص لهذه المهمة, مثل الكاهن والفنان والشاعر والساحر وغيرهم, ومن هنا كان للشعر الخصوبة والمرونة لاستدعاء المقدس بكل تجلياته المعروفة[٢٣]**الإله العنيف** إنّ المنطقة الإجرائية تحاول البحث عن صور الإله في الشعر العراقي المعاصر وسنحاول الوقوف على أهم التجارب الشعرية التي عالجت هذا الموضوع, والكشف عن صورة مفهوم الإله بنوعيه الحقيقي والزائف, الذي انماز بحضوره في الفكر الديني, إذ حاول المتدينون تغييب الإله الحقيقي, ولهذا نرى تعددية التجلي لمفهوم الإله في النصوص الشعرية في محاولة لتعرية التسلط الديني وكشفه, فلا سبيل أمام الشاعر عباس بن معثر سواء المواجهة مع المقدس الذي ظهر ملازماً للعنف, فالشاعر يقض مضاجع التطرف الديني المزيف , إذ يقول في قصيدة بعنوان (الآلهة ولحمي) :

من شمس إلى شمس ومن قمر إلى آخر تعاود الآلهة صلبي ترسل الطيور
نفسها لتنهش كبدي تدلق أيامي مثل حبر على رمل مثل شهد على
حرير وتنساني
آه!
الجبل نفسه السلاسل نفسها الفضاء ذاته والطيور
وما من نهاية

لا لحمي ينفد ولا الطيور تشبع وليس للآلهة قلب [٢٤]

إنّ الممارسات الاستبدادية العنيفة التي تعرض لها الشاعر جعلته يعيش عذاباً لا ينتهي تُعد من الطاقات والعناصر المهمة في رسم لوحة الرفض لهذه المفاهيم الدينية التي جعلت من حضور المقدس علامة جلية لحضور العنف, بوصف هذا الحضور علامة على حيوية مفهوم الدين وسلطته المستغلة, وهو المعنى الذي أكده الفيلسوف النمساوي (فيتغنشتاين) بقوله: العقل والمعرفة رماديان أما الدين والحياة فمفعمان بالألوان في إشارة إلى أن الوعي الديني لا زال طازجاً ومتوهجاً وقادراً على بث الدلالات والرؤى لرحلة الإنسان ومسيرته في هذه الدنيا, وقد وجد هذا الاشتغال للمعاني الدينية استجابة لدى الإنسان ذي الظمأ الأنطولوجي للدين, ولكن سرعان ما تعرضت هذه الفطرة لقمع وتشويه [٢٥] , مما ظهر لنا صورة الإله العنيف بوصف العنف ملازم للمقدس في الفكر السلطوي لرجال الدين المزيفين, وممن سار على كشف هذا النسق الشاعر أحمد ساجد شريف في نصه المعنون (مزحة على جبين التفاصيل) يقول :

نعم
سأرشق العمر بحصى اللوعة
أضرم
هذا الهزال الذي يسمونه الوقت
المزحة
صاخبة جدا
المزحة
موت خاوي على جبين التفاصيل
ناي في مرج مظلم
يعرف سخام البلاد..
المزحة
كذب شاهق
علمنا فقط أن الربّ قاتل محترف
وأن الساعة تقضم وجوه العتالين وحدهم..
هذا الهزال
الذي يضفي الغياب وحده
مزحه صاخبه! [٢٦]

أظهر لنا الخطاب الشعري أن القتل والعنف ملازم للإله, وهذا ما يحاول المتطرفون إثباته, لكسب مشروعية ما يقومون به من أعمال وهيمنة على الآخر اجتماعياً ودينيًا وثقافياً وسياسياً, فحاول الشاعر رسم صورة الإله عبر إشارات نصية تدور في محيط العنف (المرج المظلم, وسخام البلاد) , وقهر الآخر الذي لا يسير على مقاسات عقولهم التي تضمخت بالأدلجة وترسبات الماضي, وتوهجت بالتكهن الديني

إله الإرث الثقافي وفي مواجهة الماضي يرصد الشاعر(مؤيد الراوي) صورة من صور الإله التي نسجها الذين اعادوا انتاج الماضي بثوب التدين أنى شاؤوا من المواسم يتخذ الشاعر موضع المواجهة في نصه (آلهة) يقول فيه :

نتوعد في موسم الدم أن نضاعف الغربة فينا
وموسمه سهلٌ , آت إلينا في معظم الفصول
يُولد منذ سطوة الماضي
حينما نحاور آلهة كاذبة
نُدخلها في جلودنا
فنحضرها كما نشاء [٢٧]

تطغى في النص هيمنة الإرث الثقافي وبيوضه التي أُتخمت بالصراعات, فهي جاهزة لمن أراد افقاسها عبر ارتداء ثوب الإله والمفاهيم المقدسة, فالماضي له سطوة كبيرة تضاعف الغربة فينا وتولد هذه السطوة عند حواراتنا المتصلبة التي تتقمص فيها الذات دور الآلهة (ندخلها في جلودنا) وتستدعيها وقت ما تشاء وهذا يُعد من المهيمنات التي يتكأ عليها الفكر وهو يصنع إلها بشريًا للسيطرة على الواقع, مما يلقي بظلال سلبية على التحاور بين الذات والآخر, لأن الذات تنطلق من منطلق القداسة, وبهذا فمفهوم الإله لم يغادر تخوم العنف المقدس في الفكر البشري , الذي اتخذ من الماضي نبعاً يروي ظمأه الايديولوجي, وقد تمسك بأشياء لا قيمة لها قبال حياة البشر, وفي تجربة إبداعية أخرى حاول الشاعر ميثم راضي تقديم رؤية شعرية مضادة لممارسات الذين يتمسكون بالماضي ويصنعون مجدهم الزائف من دماء نظرائهم في الإنسانية يقول في نصه المعنون (النعاس في مجرة أخرى) :أعرف ولداً..هو الآن رجل مجنون عندما كنا صغاراً وجدنا خرزة على الأرض قال :هذه الخرزة سقطت من الله..... تعال لنعيدها له لابد أنه يحتاجها ليصنع منها كوكباً بعيداً وبقينا نرميها نحو السماء لمدة ثلاثة أيام ثم عدت أنا للبيتوظل هو في العراء للأبد كما الآن ألمحه أحياناً وسخاً متعباً من الناس يخرج الخرزة من جيبه ويحدق بها ثم يستلقي على أي رصيف وينام في مجرة أخرى [٢٨] نلمح في النص إشارات خفية حاول الشاعر فيها تثوير الراكد, وإعادة قراءة التاريخ, والانعتاق من قيود النمطي والسائد الذي فرض سطوتهُ على التفكير, بوصف هذا السائد يمثل التراث الديني المتراكم الذي سيّر المعتقدين والمتزمتين به في دروب التعصب الممزوج بالقداسة, فالنص الشعري وأن كان يسرد لنا حياة رجل مجنون يمتلك خرزة إلا أن قطب الرحى الذي تدور حوله القصة يمثل الإرث الديني والتمسك به وبأشياء لا قيمه لها عل حساب حياة الإنسان, ما جعل بعض الناس تفقد الحوار والأنسنة وصرنا في دوامة الصراع, فلا قدرة لنا على تحديد مصائرنا طالما أن الماضي يرسم لنا نمط المستقبل, فالسلطة الدينية تمتلك وراثة طبيعية لازمان الماضي وكل التشوهات التي ارتبطت بالقراءة القصدية للتاريخ والثقافة, فهي مجموعة المرايا التي تبدي فيها هذه الموروثات مثلما هي محصلة ما يملكه الإنسان من قيم مادية وروحية وطرائق ناجعة في العيش والاندماج الفاعل [٢٩],**الإله المادي** إنّ الشاعر/ المثقف لا يواجه التدين بوصفه مؤسسة منتجة للخطاب تُعيد إنتاجه باستمرار فحسب؛ بل يواجه أثرها في المكان والزمان, أثر التسلط وهو ينتشر مثل غابة من الفزاعات تخيف طائر الفكر وتشل تحليقه وانتقالاته, وبالتالي لا ينتج خطاب فكر ومعرفة إلا في إطار علاقته بالسلطة بصورة مساندة أو ممانعة [٣٠] لما يراه الشاعر يفارق جادة الصواب والعقلانية, ما أفضى إلى تعدد زوايا النظر إلى مفهوم الإله, ومن هنا كان حضور الإله عند الشاعر فوزي كريم حضوراً مغايراً, إذ يتناول مفهوم الله بوصفه حاجة مادية لم يرتق إلى مصاف الإله في مفهومه المعروف, مقتبساً فكرة أنزلت الإله من مركزية القداسة وتفردها إلى هامشية السائد يقول:

طوطم من تمر في محراب البيت حين تعبَّدتُهُ سال فمه عسل التمر جمعته في

صحن فخار إليه أضفت طحينةً وصرت ألتهمه مع الخبز [٣١]

إنّ الانطلاق من سردية قديمة مضمونها الحكائي هو صناعة إله من تمر, وإذا ما جاع صانعهُ يأكله هو انطلاق يوضح لنا البنية الفكرية لصورة الإله المادية في الفكر البشري, بنيةٌ تقوم على خلق الإله عند الحاجة إليه وتأكله الحاجة نفسها, فالإله المرئي والحاضر واقعيا ليس بإله, ولكن من يتكهن بتقمص دور الإله صيّرهُ إلهاً عاجزاً لا حول له ولا قوة, وهناك من ينوب عنه فيصفون أنفسهم بالقداسة, وهنا يجد الشاعر نفسه في منطقة المواجهة مع كل أزماته التاريخية والدينية والواقعية وكل ما يقمع الفكر الإنساني, فالخطاب الشعري خطاب قوى يتصدى لقوى مضادة وخطاب تاريخ وثقافة صاعد يقف بالضد من كوابح التاريخ الديني[٣٢] .**الإله المغيب** تختلف صور الإله من شاعر إلى آخر فرؤية عمر الجفال الشعرية تكشف لنا سمة من سمات الإله في الفكر الديني تمثلت في غياب الإله فقد يغيب الإله فيحضر والعكس صحيح أيضاً, فالشعراء الذين حضر لديهم الإله كان حضوره متفاوتاً في الفاعلية, ومختلفاً في الكيفية, وكانت هيمنته نصياً, لكنه غاب وتراجع هامشاً ثقافياً عند بعضهم, إنها المعادلة التي شكلت الظاهرة الأبرز في علاقة الشعر بالإله [٣٣] يقول:

هناك... جسد شاعر

.يُرقّمُ أشباحاً خارجة عن المعنى وقصاصة خارج الكلام

أوديب يكرر المشهد تتلوث العزلة بالأساطير

أرتمي في المشهد نازعاً شخوصاً أعرفها خارج المربع كنت أقتل كل الأموات

دائماً ثمّة إله يغيب عن المشهد [٣٤]

لا يخفى على القارئ عمق الدلالة التي حاول الشاعر إيضاحها لمفهوم غياب الإله في الواقع الحياتي, فالشاعر حاك خيوط نصه بطريقة سردية متكأ على التناص الأسطوري الذي فتح آفاقاً دلالية لدى المتلقي, إنّ غياب الإله الذي سعى الشاعر إلى كشفه لم يكن في المنطقة الدينية الحقيقية,

بل كان في اشتغالات الفكر السلطوي الديني المزيف, وهذا ما تؤيده أفعالهم على أرض الواقع, أما غياب الإله في التجربة الدينية فهو جزء من ضروريات ألوهيته, فالإله الحاضر على المستوى الواقعي ليس بإله؛ لأن هذا يستلزم فيزيائيته التي تحكم بنسبيته في حين أن غيابه يمنحه البقاء في ما الماوراء ويضمن له صفة المطلق, ولكن ثمة فرق بين الحضور الروحي المعنوي والوجود المادي الفيزيائي, فالأوّل متحقق دائماً؛ لأنه من يشعر المؤمن بالطمأنينة والسلام, ويدخله في أجواء الرعاية الإلهية وهو دافع من دوافع الإيمان, أما الثاني فهو ممتنع الوقوع؛ لأنه يتنافى مع المفهوم الديني للإله الذي يجب أن يبقى دائماً في مناطق الميتافيزيقيا والماورائية [٣٥] .**الإله ضميرًا** وفي مسار نصي آخر يتخذ من النسق الثقافي القار في الذاكرة معادلاً موضوعياً لإظهار ثقافة تغييب مفهوم الإله من قبل المتطرفين, فقد رصد الشاعر جمال جاسم أمين هذا التجلي في نصه (الضمير) يقول :

أمس
رأيت الضمير
ظهر بلحمه ودمه
لم أجد فيه
غير ذلك الفهم الذي يصرخ في الخلاء
الله.. الله
لأجل هذا أقول
أنت.....
يا فمي الذي يذبل في أسفل الوجه
تعلم
أن لا تكون إلا ضميراً[٣٦]

إنّ المشهد الشعري يستمد فحواه من المخيال الاجتماعي الذي ينطلق من فهم مبستر لاشغال مفهوم الضمير بدلا من الإله, أو يكون هو نفسه, إنها إحدى عمليات التوارث الفكري التي تغلغلت كأنساق ثقافية حاول الشاعر من خلالها الكشف عن المضمر المتمثل بتغيب الضمير بقصدية من قبل التطرف وعليه تكون مادة الدين قد خضعت خضوعا تعسفياً إلى الجماعات الإسلامية التي مارست سلطتها في إخضاع الناس إلى تعاليمها الدينية, وفرض سياسة التهديد بالعقاب الميتافيزيقي, وخلق حالة من هوس التدين لإبقاء الناس خاضعين لأوامرها ونواهيها, موهمين المتعبدين أنها أوامر ونواهي الربّ, ومن ثم فقد تحول رجال التطرف إلى سياسيين محترفين طغاة حيث كانت تتملكهم شهوة عارمة للتسلط ورغبة شرهة في الاستبداد [٣٧] الذي جعل الضمير يستغيث بصراخه (غير ذلك الفهم الذي يصرخ في الخلاء... الله.... الله), فالفكر البشري الذي مارس تقويضاً وتغييباً لمفهوم الضمير/ الإله حوّله إلى منتج إنساني وثقافي في المنطقة الميثولوجية, فقد أدى الجنوح إلى البدايات الإنسانية لاكتشاف المعرفة إلى نبوغ الوعي الإنساني لتصور مفهوم الإله, ففي قصيدة البدايات للشاعر عارف الساعدي تمظهر ذلك يقول:

وكأنني لست البداية
لست أول كلمة ولدت هنا
واستنشقت وطناً
كلوني أبي
وسمرة أغنياتي
من أول المعتق بالوطن
من كل أول
أولى الدموع
أولى بكائك حين تجهش
أو تتمتم في صراخك عن حروف
أولى الرسوم على الكهوف

أولى حنينك للشجر
أولى هروبك من تقاسيم السماء
من أساطير المطر
يا أول الصلوات في الدنيا
وأول من بحثوا عن الإله[٣٨]

منذ اللحظات الأولى في هذه الحياة حاول الإنسان كبح جماح الأسئلة التي أرقته وهي تدور في منطقة تفسير الموجودات والكينونة والبدايات التي شغلته كثيرًا لتشكل تضاريس المعرفة البشرية, فمع أول كلمة نطقها الإنسان وأول ترنيمة من أغانيه السمراء في أفراحه وأول بكائه حين يجهش في أتراحه ومع أول حرف دوّنه وهو ينشد المعرفة حاول البحث عن الإله مفسرًا هذا المفهوم وحاول إسقاطه في ظواهر كونية أو رموز أسطورية متنوعة, مما أفضى إلى تحول مفهوم الإله من صفاته المطلقة إلى نسبيته المجسمة وهامشيته بوصفه منتجاً ثقافياً وإنسانياً وفاقا لما يراه فيورباخ في انثربولوجية الإله.**إله الكره** وفي خطاب آخر أتخذ من الأحداث التي تعرضت لها الطائفة المسيحية مادة لنسج لواعج هوية أثقلها المسخ والشمولية والتهميش, وهو محاولة لرسم صورة الإله في هذه المنطقة, يقول: الشاعر علي حميد الشويلي في قصيدته (عرس السماء)

من نحن ؟
انطلقنا حول اجزاء الرصاصة
ليلهم اقذر من أن يعتري ذاك النهارا
انهم جوع لكل سلالة للحب
فارتجلوا إله الكره
وانسلوا جهارا
أنهم وجه لنفس الموت في زي الحياة
قتلوا المسيح على بساط الرب
وافترشوه في وقت الصلاة [٣٩]

كثف الشاعر من دوال اللعبة الشعرية لصناعة الهوية المسيحية عبر أدوات لغوية (قتلوا المسيح، افترشوه) تلك الهوية التي تعرضت للتهميش والتنكيل والاضطهاد, فالنص ربط العذابات الماضية للسيد المسيح بعمليات الاقصاء والتهميش الراهنة التي تعرض لها المسيحيون؛ لتشابه المأساة عبر التراكم الزمني ، أما الجانب الآخر لمرايا النص فإنه يختزل جميع المظاهر التي لا تخرج عن كينونتها المتطرفة تعريضاً بانحسار هذا التطرف في جسد الهوية المسيحية ، وكذلك قلب موازين الأنساق الأخلاقية المبنية وفق رؤية لا إكراه في الدين إلى اتخاذ الكره آلهة يتزلفون إليها بقتل الآخر؛ لاختلافهم معه, فالخطاب الشعري حاول رسم مسارات الإله التي ارتجلتها سلطة رجال الدين المتطرفين في محاولة منهم لتقويض حوار الأديان .

النتائج

_ مرّ مفهوم الإله بتحولات كبيرة في الفكر البشري فتارة نجده قوى روحية تروض الخوف وأخرى نراه يتحول إلى مجسمات إنسانية حتى قالوا بأن الآلهة في الأصل كانوا رجالاً بارزين في القبيلة, لهم مكانتهم الخاصة والمميزة, ثم عبدهم الناس لاعتقادهم بامتلاك القوى التي تؤثر في حياة الأحياء

_ يرى المنظور الفلسفي لهذه الدراسة أن الآلهة جزء من النوع البشري وفاقا لرؤية فيورباخ التي تنطلق من انثربولوجية الدين في حين يرى هيجل أن مفهوم الإله يتحقق في المنطقة الميتافيزيقية

_ اتضح لنا أن صورة الإله في الشعر لم يكن ذا نمط واحد أو مسار تراتبي بل انماز بالتباين والتعدد الصوري فظهر بأشكال عدّة

_ تبدو أن القراءات الصلبة للدين أتت اكلها في صُنع آلهة تتسامى في كنف العنف حتى لقد ارتبط العنف بالمقدس وهي من صور الإله التي تمظهرت في النص الشعري العراقي والتي جعلت من حضور المقدس علامة جلية لحضور العنف

_ تجلى الإرث الثقافي بوصفه صورة من صور الإله التي نسجها الذين اعادوا انتاج الماضي بثوب التدين

_ ظهر مفهوم الإله بوصفه حاجة مادية لم يرتق إلى مصاف الإله في مفهومه المقدس, وبالتالي فنحن قبال تحول سوسيوثقافي يقوم على ثنائية هامشية القداسة ومركزية الهامش والسائد

_ تكشف لنا الدراسة سمة من سمات الإله في الفكر البشري تمثلت في غياب الإله عن الواقع الحياتي

_ ظهر مفهوم الإله بوصفه معادلاً موضوعيًا لمفهوم الضمير في المفهوم المتعارف عليه اجتماعيًا

_ كشف لنا الخطاب الشعري رسم مسارات الإله التي ارتجلتها المتطرفين في محاولة منهم لتقويض حوار الأديان وذلك من خلال خلق إله الكره

هوامش البحث

١الله والإنسان ص ١٤

٢ينظر: الله والانسان ص ١٥

٣ينظر: المقدس في الشعر العراقي قراءة ثقافية في المرجعيات والتمثلات , ص:٨٥

٤كتاب بخور الآلهة دراسه في الطب والسحر والاسطوره والدين خزعل الماجدي الأهلية للنشر والتوزيع واحد ١٩٩٨ ص ٧١
وينظر الأساطير المؤسسة للعقل الثقافي العراقي الدراسة في جينالوجيا الثقافة ناجي عباس مطر الركابي دار تموز قطاع واحد ٢٠١٢ ص ٢٩

٥ينظر: دين الانسان مصطفى محمود , ص١٨٠ ١٨٥

٦كتاب بخور الآلهة ص ٧٢

٧ينظر: دين الانسان مصطفى محمود ص ١٩٠

٨المصدر نفسه ص ١٨٠ ١٨٥

٩ينظر: دين الإنسان, ص: ١٠٤_ ٢٢٨

١٠ ينظر: الله الانسان, كارين آرمسترونغ ص ١٨

١١ ينظر: الله الإنسان ص ١٧

١٢ المقدس والعادي ميرسات الياد ترجمه عادل العواد دار التنوير ٢٠٠٩ ص ١٥٣

١٣ كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد خزعل الماجدي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ٢٠١٤ ص ١٥٠ ١٥٥

١٤ فلسفة الدين وجدل اللاهوتي والانتربولوجي عنده لودفيج شرباخ مجلة مؤمنون بلا حدود

١٥ ينظر: أصل الدين ص ١٦

١٦ اصل الدين ص ١٣

١٧ جوهر الإيمان فيورباخ ترجمه جورج بريشين ص ٤٩

١٨ المصدر نفسه ص ٥٠

١٩ فلسفة الدين وجدل اللاهوتي والانثروبولوجي عند لودفيح فيورباخ عبد اللطيف الخمسي مجلة مؤمنون بلا حدود ٢٠١٥

٢٠ أصل الدين ص ١٧

٢١ الله والإنسان ص ١٣

٢٢ الله و الانسان ص ١٣

٢٣ ينظر: كامل فرحان صالح(٢٠١٠), الشعر والدين فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي المجلس للثقافة القاهرة, ص: ٢٨٦_ ٢٩٧

٢٤ آخر الكتب المقدسة, ص: ١٦

٢٥ ينظر: تمثلات العنف في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣, ص: ١٣٠

٢٦ أنت لا تملك الجهات, أحمد ساجت الشريف الدار العربية العلوم ناشرون ,بيروت ط١, ٢٠١٦ص: ٥٥_ ٥٦

٢٧ , ممالك, مؤيد الراوي, دار الجمل, بيروت ط ١ ٢٠١٠, ص: ٢٠١

٢٨ كلمات رديئة, ميثم راضي, دار المتوسط, ميلانو, ط١, ٢٠١٥, ص: ٨

٢٩ ينظر: الشعر العراقي المعاصر دراسة في الأنساق الثقافية واللغوية ٢٠٠٦_٢٠١٦ ص:٢٨,

٣٠ ينظر: أنطقة المحرم ص: ١٠

٣١ فوزي, كريم (٢٠١٨), ما الشعر إلا زلت لسان , دار المتوسط ,ميلانو ط١, , ص: ٣٥

٣٢ ينظر: أنطقة المحرم ص: ٢٦

٣٣ ينظر: المقدس في الشعر العراقي ٢٠٠٣ – ٢٠١٥ قراءة ثقافية في المرجعيات والتمثلات, ص:١٢٠

٣٤ خيانات السيدة حياة عمر الجفال, دار التكوين للتأليف والترجمة, دمشق ط١ ٢٠٠٩, ص: ٣٤

٣٥ ينظر: المقدس في الشعر العراقي ٢٠٠٣ – ٢٠١٥ قراءة ثقافية في المرجعيات والتمثلات, ص:١٢٠_١٢١

٣٦ بحيرة الصمغ , جمال جاسم أمين , منظمة الصحفيين والمثقفين الشباب المستقلة , ميسان ,ط١, ٢٠١١, ص: ٦٠

٣٧ ينظر: الاكليروس في الرواية العراقية , ص:٢٠– ٢١

٣٨ الأعمال الشعرية عارف الساعدي, ص: ١٣٦_ ١٣٧

٣٩ , , , على طبق من أنثى , علي حميد الشويلي مكتبة عدنان ط١ ٢٠١٢ص:٣٥

المصادر

- الله والإنسان , مصطفي محمود , دار الجمهورية , مصر , د ت
- المقدس في الشعر العراقي المعاصر ٢٠٠٣ – ٢٠١٥ قراءة ثقافية في المرجعيات والتمثلات ٢٠١٩
- كتاب بخور الآلهة دراسه في الطب والسحر والاسطوره والدين خزعل الماجدي الأهلية للنشر والتوزيع واحد ١٩٩٨
- الأساطير المؤسسة للعقل الثقافي العراقي الدراسة في جينالوجيا الثقافة العراقيه ناجي عباس مطر الركابي دار تموز ط١ ٢٠١٢
- دين الإنسان, بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني, فراس السواح , منشورات دار علاء الدين, سوريا , ط٤ , ٢٠٠٢
- الله الانسان, كارين آرمسترونغ , ترجمة : محمد الجورا , دار الحصاد للنشر والتوزيع , سوريا ط١ , ١٩٩٦
- المقدس والعادي ميرسا الياد ترجمة عادل العواد, دار التنوير للطباعة والنشر , ٢٠٠٩
- كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد خزعل الماجدي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ٢٠١٤
- أصل الدين , فيورباخ , ترجمة , أحمد عبد الحليم عطية , الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , ط١ , ١٩٩١
- جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر , ترجمة : جورج برشين ونبيل فياض, دار الرافدين لبنان , ط١ , ٢٠١٧
- الشعر والدين فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي كامل فرحان صالح المجلس للثقافة القاهرة٢٠١٠
- آخر الكتب المقدسة, عباس منعثر , دار رفد , ٢٠١٥
- تمثلات العنف في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣, غانم حميد الزبيدي , أطروحة دكتوراه , جامعة البصرة , كلية الآداب , ٢٠١٤
- أنت لا تملك الجهات أحمد ساجت الشريف, الدار العربية العلوم ناشرون ,بيروت ط١ ٢٠١٦
- ممالك, مؤيد الراوي, دار الجمل, بيروت ط ١, ٢٠١٠
- كلمات رديئة, ميثم راضي , دار المتوسط, ميلانو, ط١, ٢٠١٥,
- أنطقة المحرم ,المثقف وشبكة علاقات السلطة , سعد محمد رحيم , دار ميزوبوتاميا , للطباعة والنشر بغداد , ط١ , ٢٠١٣
- ما الشعر إلا زلت لسان فوزي كريم, دار المتوسط ,ميلانو ط١, ٢٠١٨
- خيانات السيدة حياة, عمر الجفال , دار التكوين للتأليف والترجمة, دمشق ط١, ٢٠٠٩
- بحيرة الصمغ , جمال جاسم أمين, منظمة الصحفيين والمثقفين الشباب المستقلة , ميسان ,ط١, ٢٠١١
- الاكليروس في الرواية العراقية, مسار غازي, دار سامراء, ٢٠٢١.
- الأعمال الشعرية, عارف الساعدي, ١٩٩٥_٢٠١٥, دار سطور , ٢٠١٥
- على طبق من أنثى , علي حميد الشويلي مكتبة عدنان ,ط١, ٢٠١٢